



## رسالة في الاسلام

بين هيجل ومحمد عبده

تأليف الأستاذ محمد محمد البهي

عضو بمئة تخليد ذكرى الامام

من أولى نتائج الدرس الذي عكف عليه أعضاء بمئة تخليد ذكرى الأستاذ الامام محمد عبده ، كتيب قيم وضعه باللغة الألمانية الأستاذ محمد محمد البهي ، الذي لا زال يتابع دراسته في جامعة هامبورج بألمانيا

ويقول المؤلف في مقدمة كتيبه هذا إن الدافع له على إصداره هو ما رآه في ألمانيا من أن الناس فيها لا يفقهون الاسلام على حقيقته ، وقد كرر رأيه هذا بعد استماعه لأستاذه « نوك » Prof. Dr. Noack في محاضراته عن « فلسفة التاريخ » لهيجل ، وبعد اشتراكه في مساجلة الأستاذ شتروتمان Prof. Dr. Srtolhmann لتلاميذه في عدد من المؤلفات عن الاسلام . وبذلك أتاحت له الفرصة ليوازن بين آراء « هيجل » في الاسلام ، كما جاءت في كتابه « فلسفة التاريخ » ، وآراء فيلسوف الاسلام الامام محمد عبده ، كما جاءت في كتابه « الاسلام والنصرانية » ، والعلم والمدنية . وأراد الأستاذ البهي أن يتقدم برسالة في هذا الموضوع لينال بها الدكتوراه في الفلسفة ، ولكن غيرته على العلم والدين لم تمهله حتى يستوفى البحث ، فأصدر هذا الكتيب لينفس عن روحه وليطلق فكرته من عقالمها ، وكان حقاً موقفاً في مرد أهم آراء الفيلسوف الألماني هيجل الخاصة بالاسلام ، ورغم الاجمال الذي التزمه المؤلف فانه ألم بتلك الآراء إلاماً حسناً . فذكر كيف أن الاسلام في نظر الفيلسوف هيجل ، هو صورة صادقة للعقلية الشرقية ، فهو يجمع بين المتناقضين : المسائل

التجريدية والمسائل الواقعية . وأن فكرة الآله عند اليهود هي غيرها عند المسلمين — على حد ما يعتقد هيجل ، فهو Jehova هورب الشعب الاسرائيلي فقط ، أما الله فرب العالمين ؛ ويرى هيجل أن المسلمين يعيشون ويحبون من أجل دينهم وتحقيق مبادئه ، وأن حياتهم الدنيوية ليست إلا وسيلة لبلوغ الآخرة وما فيها من متاع . ولهذا كانت فتوحاتهم العظيمة في آسيا وأفريقيا وأوروبا . وكان التعصب ضد الكفرة على أشده في بادئ الأمر ، إلا أنه تراخى بعض الشيء ، فاستمض عن قتل الكافر بفرض جزية سنوية على شخصه ؛ ومع ذلك لم يكن التعصب في الاسلام مدعاة تحريب وهدم ، كما هي طبيعة التعصب ، بل كانت فوق ذلك مدعاة تشييد وبناء . ثم تدرج المؤلف إلى ذكر رأي هيجل في أن الاسلام كدين يبرر أعمال العنف والقوة لنشره ، كما برر روبيير Robespierre أعمال العنف والقوة لبلوغ الحرية ؛ وأن الفردية في الاسلام من التناقض بدرجة تجعل الحاكم الذي يبني المجد والعظمة والسيطرة لا يتوانى في أن يضحي بها جميعاً في سبيل الدين ، وقد لا يلبث إلا قليلاً حتى يستردها دون هوادة ، وأن الخليفة عمر — على حد ما ذكره هيجل — هو الذي أمر باحراق مكتبة الاسكندرية ، بينما الخليفة المنصور كان يجمع العلماء في مجلسه ويصدق عليهم العطايا ؛ وبحسن معاملته لهم ازدهر الأدب والعلم في أيامه . ثم ذكر بأن الحريات كانت مكفولة للناس كافة ، لا فرق بين رجل وامرأة ، ولا بين طبقة وأخرى ، حتى كان الرجل من رعايا الناس يدخل على الخليفة في مجلسه فيجده مطمئناً عن كل ما يريد ؛ ولكن عقب ذلك اعتكف الخلفاء والحكام في قصورهم وأبعدوا الشعب عنهم ، فانتقل الحال إلى الضد . ويرجع « هيجل » أسباب ذلك إلى أن التعصب الديني كانت قد بردت حرارته ، فبدأت الفاسد تسود المجتمع ، وأصبح الاستمتاع بعادات الحياة شهوة الناس في هذه الدنيا ، ثم تراجع الاسلام كما

واستشهد بما جاء في الذكر الحكيم : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، وما جاء في الحديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

وتكلم في المسألة الثانية عن الصوم وأن الفرض منه ليس مجرد صحة الأبدان ، بل له غرض معنوي آخر هو إشعار الصائم بوجود المطف على الفقراء والمساكين

أما المسألة الثالثة فقد حاول فيها الأستاذ البهي أن يثبت بأن الاسلام لم يكن في كل الحروب التي خاضها إلا مدافعاً عن كيانه . أما فكرة النزول لإجبار الناس على اعتناق الاسلام ، فليس لها أصل في الدين . وقد استشهد بآراء هورتن الذي ذكر في أحد كتبه بأن الحروب الدينية في الاسلام لم تكن إلا للدفاع عن هجمات الأعداء أو لاختناق فتنة . ولهذا كانت الفكرة القائلة بأن الدين الاسلامي يبرر أعمال العنف والقوة فكرة خاطئة

وعالج المؤلف في المسألة الرابعة مسألة الجزية على الذين ، وقال بأن الفرض منها لم يكن إجبار الناس على اعتناق الاسلام بل كانت مجرد ضريبة للحفاظ على أرواح الناس وأملأهم أما عن التعصب في الدين ، وهي المسألة الخامسة فالاسلام لا يعارض العلم ، ولا يعاقب الأجرار من العلماء أو يتعقبهم ، بل دعا الدين الاسلامي إلى الدراسة ، وإلى العلم والمعرفة ، وقد أحيا المسلمون العلماء أيا كانوا ، وأشادوا بذكورهم واحترموهم وبجلوهم ؛ ويكفي أن علماء اليهود في سورية وعلماء النصارى في مصر ، كانوا يجلسون مع غيرهم من العلماء في مجالس الخلفاء والحكام . ولقد نقل المسلمون العلوم إلى بلاد القرب ، كما أن الاسلام لم يحظر على الناس حرية البحث ، بل ضمن لهم الحرية الكاملة سواء أكانوا من الأولياء أم الأعداء

أما مسألة حرق العرب لمكتبة الاسكندرية ، وهي النقطة السادسة ، فإن هذه الدعوى لم تأت في أي كتاب علمي للتاريخ ، وقد كذبتها دائرة المعارف الاسلامية ، كما كذبها الأستاذ مولر Prof. Müller في كتابه « الاسلام في المشرق والمغرب »

وطالج المؤلف في النقطة السابعة عفاء الدولة الاسلامية ، وقال إن ذلك يرجع إلى أسباب سياسية واقتصادية ، مما ليس له علاقة بالدين ، واستشهد برأى الفيلسوف شبنجر حيث يقول :

يقول هيجل إلى أفريقيا وآسيا ، ولم تطفئه النصرانية إلا في ركن ضيق من أوروبا . وتلاشى الاسلام كقوة مسيرة لتاريخ العالم . ويعترف هيجل بأن الغربيين أخذوا عن العرب مختلف المعلوم والفنون والمعارف ، وبخاصة الفلسفة ؛ ويقر فيلسوف الألمان أن الاسلام هو أكبر ظاهرة في تاريخ العالم

غير أن الأستاذ البهي يرى أن هيجل حكم على الاسلام من خلال أعمال بعض المسلمين . وكان الأولى به أن يرجع إلى مصادر الاسلام وهي : القرآن والحديث وما أجمع عليه الأئمة . وعاب على هيجل طريقته في البحث ، وقال بأنه ( أي المؤلف ) إن يكون عادلاً في حكمه إذا ما نسب إلى الدين المسيحي عداوه للعلم ومحاربه لحرية الفكر ، مستندا في ذلك إلى بعض الحوادث التي منها :

(١) إعدام (حياتيا) المصرية Hypatia ، وكانت سيدة من أفذاذ العلماء الرياضيين ، عام ٤١٥ ميلادية أثناء تعقب النصارى للفلاسفة

(٢) إحراق ١٢٢٠ شخصاً بالنار فيما بين سنة ١٤٨١ و ١٤٩٩ ميلادية ، وهم أحياء. تنفيذاً لأحكام الرقابة الموضوعه على الكتب وأصحابها

(٣) إحراق جيوردانو بروفو Giordano Bruno ، الذي قال بالوحدانية الربانية

(٤) إحراق السكردينال زيمنس Ximenes ٨٠٠٠ مجلد من الكتب العلمية في غرناطة

إن كل هذه الأعمال لا تؤيدها التعاليم الدينية المسيحية ، وكل بحث يرتكن إلى مثل هذه الأشياء يكون خاطئاً . وهكذا كان هيجل في بحثه عن الاسلام ؛ واستشهد المؤلف برأى الأستاذ هورتن الذي ذكر في أحد كتبه : « أن انحطاط المسلمين وعدم قيامهم بأعمال مجيدة سامية لا ترجع إلى روح الاسلام ، ولكن إلى سوء تصرف الخلفاء وإلى غيره من الأمور ، ونشأ عن ذلك أضرار عديدة بالدين والمعادن وصحة الاسلام » :

ثم ناقش الأستاذ البهي ثمان مسائل من آراء الفيلسوف هيجل أولها : الفردية في الاسلام . فهي ليست العمل للأخرة دون سواها ، كما تصورها هيجل ، ولكن العمل للدنيا أيضاً ؛

## شرح الايضاح في علوم البلاغة

للأستاذ عبد المتعال الصعدي

للمدرس بكلية اللغة العربية

ذكر جلال الدين الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القزويني أنه ألف كتابه (الايضاح) وجعله على ترتيب مختصره الذي سماه (تلخيص المفتاح) وبسط القول فيه ليكون كالشرح له ، فأوضح فيه مواضع المشكلة ، وفصل معانيه الجملة ، وعمد إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه (مفتاح العلوم) للامام السكاكي ، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبد القاهر في كتابيه (دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة) وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما - فاستخرج من ذلك كله زبدته ، وهذبه ورتبه حتى استقر كل شيء منه في محله ، ثم أضاف إلى ذلك ما أداه اليه فكره ولم يجده لغيره ، فجمع بهذا أشدات هذه العلوم كلها ، واستقامت له فيها هذه الطريقة البديعة التي فتن بها الناس بعمده وجاراه فيها كل من كتب في علوم البلاغة الثلاثة إلى الآن

وهو يميل في مختصره (تلخيص المفتاح) إلى طريقة السكاكي في العناية بجمع القواعد دون إيراد الشواهد ، ويميل في الايضاح إلى الجمع بين طريقة السكاكي في ذلك ، وطريقة عبد القاهر في

« وإذا كان هيجل قد ختم بحثه عن الاسلام بقوله : « إن قوة الاسلام اختفت كامل تكليف تاريخ العالم . . . فطينا أن نتذكر بأنه يوجد اليوم ثلثمائة مليون مسلم في العالم »

وأعقب الأستاذ البهي ذلك البحث بآراء الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده في الاسلام ، مستندا في ذلك إلى كتابه « الاسلام والنصرانية ، والعلم والمدنية » - كما ذكرنا في البدء . وإنا نكتفي هنا بالإشارة اليه ، ليراجعه من يهيمه الاطلاع عليه

ابراهيم ابراهيم يوسف

العناية بإيراد الشواهد ، وقد امتاز في إيضاحه على السكاكي في طريقته بحسن الترتيب ، وبوضوح العبارة وجريها على الأسلوب العربي ، كما امتاز على عبد القاهر بالقصد في إيضاح القواعد على ما يليق بأسلوب الكتابة العلمية

ولكن العلماء الذين أتوا بعد الخطيب لم تعجهم طريقة (الايضاح) على ما تمتاز به من هذه الميزات العظيمة ، وفتنوا أياما ذننة بطريقة (التلخيص) في العناية بجمع القواعد ، وإهمال إيراد الشواهد من منظوم العرب ومنثورهم ، فوضعوا عليه من الشروح المبسوطة مالا يحصى ، ووضعوا على تلك الشروح شروحا سموها حواشي ، ووضعوا على تلك الحواشي شروحا سموها تقارير ، وجروا فيها كلها على إهمال ما أهمله الخطيب في تلخيصه من تلك الشواهد التي لا يستقيم النظر في هذه العلوم إلا بها ، فغاب كل ما كتبوه على هذه الطريقة حشواً لا فائدة إلا في القليل منه ، حتى أصبحت طريقة غاية في العمق ، وغدت دراسة هذه العلوم بها خالية من الثمرة ، عاجزة عن تربية الذوق البياني

وقد أحسنت كلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر بالمندول عن درس هذه العلوم في التلخيص وشرحه للسعد التفتازاني إلى درسها في الايضاح وحده ، ولكن طلاب هذه الكلية يجدون أنفسهم في حاجة إلى الرجوع إلى هذه الشروح والحواشي والتقارير في كثير من مواضع الايضاح في سائر أبوابه ، فيضطرون بحكم هذه الحاجة إلى الرجوع إليها كلها ، واستيعاب النظر فيها ، وتضييع بذلك الفائدة المقصودة من إيراد درس الايضاح عليها

ولا شك أن هؤلاء الطلاب وغيرهم من طلاب هذه العلوم في حاجة إلى شرح على الايضاح يجاريه في طريقته ، ويكمل من شواهد ما لم يكمله ، ويزيد عليها ما يدعو الحاجة إليه ، وينظر في ذلك الحشو الكثير الذي اتجمعت به هذه العلوم فيختار منه ما فيه فائدة تتصل بها وما أقل ذلك بينه ، ويهمل ما لا اتصال له بها وما أكثره فيه ، ويؤدي مع ذلك كله واجب النظر العلمي الحديث في بعض مسائلها ، وقد وفق الله واضع هذا الشرح الجديد على الايضاح إلى ما أرادته من هذه الأغراض ، فجزاه الله عنه خير الجزاء (ص)